الخطاب القرآني
مقاربة في ضوء لسانيات النص

م. د. خالد حميد صبري
جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية

الملخص:

يحاول هذا البحث أن يقدم رؤية متواضعة لكيفية اغتنام بعض المفاهيم التي تقدمها لسانيات النص بوصفها نشاطاً تأويلياً وتحليلياً وتوظيفها في مقاربة النص القرآني لكنها مقاربة غير منبتة الصلة عما قدمته المجالات المعرفية التراثية المختصة بالكشف عن آليات فهم هذا النص المقدس، وتأتي في مقدمتها مباحث علوم القرآن.

وإلى جانب ذلك؛ كان هناك هدف آخر – مهم – حاول البحث تحقيقه، وهو الكشف عن بعض الإشكاليات التي كانت هاجساً لدى بعض الباحثين، أدى إلى التشكيك في وحدة النص القرآني تارة، وإلى التشكيك في جدوى الآليات التأويلية التي اجترحها المفسرون والمعنيون بالنص القرآني تارة أخرى.

Quranic discourse
Approach in light of textual linguistics

M. Dr.. Khaled Hamid Sabri
University of Baghdad / Faculty of Education Ibn Rushd for Humanities

Abstract:

This study tends to present a vision about the linguistic importance of the text as being an interpretive and analytical aspect. This study will specifically be centered on the Quranic text. It will give a new interpretation to the text for a better understanding of the Holy Quran. This interpretation will be different from the traditional approaches and analysis made by the traditional domains of knowledge within the sciences of the Holy Quran.

In addition, the study aims to demystify some problematic interpretations provided by researchers and specialists. Due to the uncertainty of some researchers, they became skeptic about the unity of the Quranic text. They also became skeptic about the interpretive approaches proposed by the interpreters and the specialists of the Quranic text.

خصوصية النص القرآني:

يشكل النص القرآني المصدر الأساسي للثقافة العربية، ومن الصعب الحديث عن علوم أو معارف عربية قبل نزوله؛ لذلك صار هذا النص محطّ أنظار العلماء قديما وحديثا.

في جميع النصوص يجري الحديث عن العلاقة الجدلية بين المرسِل والمتلقي، وهذه العلاقة هي التي تحدد – في رأي بعض الباحثين – طبيعة النص، وتحدد كذلك مرجعية التفسير والتأويل. فبحسب ياكبسون "إذا كان القائل هو محور التركيز مثلا تلاشى إلى حدٍّ كبير، وإن لم يختفِ تماما، دور المتلقي، وأصبحت الرسالة من (أنا) إلى (أنا)، وتحددت طبيعة النص بأن تكون أقرب إلى (الترجمة الذاتية)،... وإذا كان التركيز على المتلقي أصبحت مهمة النص الإفهام والبيان، واندرج النص في عداد النصوص (التعليمية) بمستوياتها المختلفة. وفي حالة التركيز على الشفرة غالبا ما يكون انتماء النص إلى مجال النصوص الأدبية. وعلينا أن نضع في الاعتبار دائما أن التصنيف يكون على سبيل التغليب الذي يبرز عنصرا على حساب العناصر الأخرى؛ لأن العناصر الأخرى موجودة أبدا في كل أنماط النصوص، وإن كان حضورها بالنسبة للعنصر البارز يكون شاحبا إلى حد ما"[١]. أما في النص القرآني؛ فنحن أمام وضع مختلف؛ إذ هناك (مرسِل) وهو الله تعالى، و(متلقٍ أول) وهو النبي محمد –صلى الله عليه وآله–، و(متلقٍ ثانٍ) وهو جمهور الناس.

وقد أثار هذا الاختلاف بين النص القرآني وبقية النصوص لدى البعض مجموعة إشكاليات، منها ما هو مرتبط بوظيفة المتلقي الأول، فالله تعالى يوحي بكلامه إلى النبي (صلى الله عليه وآله)، والنبي يبلغه للناس، فما هي إذن وظيفة النبي بالتحديد؟ هل هو مجرد ناقل؟ ولو كان كذلك فلا داعي لاعتباره طرفاً ثالثاً؛ لأنه صار ضمن الناس.

وفي الحقيقة أن النص القرآني نفسه يبين ويفسر طبيعة العلاقة بين هذه الأطراف الثلاثة، ولاسيما ما هو متعلق بوظيفة النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله)، ففي بعض الأحيان يكون النبي جزءاً من مصدر التشريع، قال تعالى: "**قل أطيعوا اللهَ والرسولَ**"[٢]، و "**يسئلونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين**"[٣]، وغيرها من الآيات وهي كثيرة. وفي أحيان أخرى يكون النبي جزءاً من أمته، كما في قوله تعالى: "**محمدٌ رسولُ اللهِ والذين معه أشداءُ على الكفارِ رحماءُ بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههِم من أثرِ السجودِ ذلك مثلُهم في التوراةِ ومثلُهم في الإنجيل كزرع أخرجَ شَطْأَهُ فأَزَرَهُ فاستغلظَ فاستوى على سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ ليغيظَ بهم الكفَّارَ وَعَدَ اللهَ الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرةً وأجراً عظيماً**"[٤]. وقد يكون النبي هو المقصود تحديداً[٥] في بعض حالات الخطاب القرآني، كما في قوله تعالى: "**ألم نشرحْ لك صدرَك ووضعنا عنك وزرَك الذي أنقضَ ظهرَك ورفعنا لك ذكرَك فإنَّ مع العسرِ يسراً إنَّ مع العسرِ يسراً فإذا فرغتَ فانصبْ**

وإلى ربِّك فارغبْ"[٦]. هذه الآيات ومثيلاتها تبين بجلاء الوظيفة المركبة للنبي (صلى الله عليه وآله)، وأنه ليس مجرد ناقل، بل طرف ثالث في هذه العلاقة، ومن الصعب فهم النص القرآني الفهم الصحيح إذا تغافلنا عن ذلك.

إن تفرّد النص القرآني بأن له متلقيا أول ومتلقيا ثانيا لا يجعله محط شبهة، وإن تعارضت هذه الحقيقة مع مناهج التلقي والتأويل؛ لأن هذا التفرّد أو الاختلاف نابع من خصوصية النص القرآني، وذلك بكونه نصا سماويا مرتبطا بفكرتين جوهريتين في علوم الأديان، ألا وهما (النبوة) و(الرسالة)، النبوة تمثل العلاقة بين الله والنبي، والرسالة تمثل العلاقة بين الرسول والناس، فضلا عن ذلك أن القرآن الكريم نص محاط بمنظومة ساندة، هي السنة النبوية التي أنتجها المتلقي الأول للنص القرآني، بغض النظر عن الاختلاف الدائر حول هذه المنظومة: هل هي وحي من الله أم اجتهاد من النبي (صلى الله عليه وآله).

ومن الإشكاليات الأخرى المرتبطة بطبيعة النص القرآني ما طرحه نصر حامد أبو زيد الذي يرى أن القرآن الكريم يركز على المتلقي أكثر منه على منتِج النص، وهو ما لم يلتفت إليه الخطاب الإسلامي المعاصر الذي يعتقد العكس، وقد أدى ذلك إلى إعطاء الأولوية –عند مناقشة النصوص الدينية– للحديث عن الله تعالى (قائل النص)، يأتي بعد ذلك الحديث عن النبي (المستقبل الأول للنص)، ثم يأتي الحديث عن الواقع تحت عناوين: (أسباب النزول) و(المكي والمدني) و(الناسخ والمنسوخ)، ويرى أبو زيد أن هذا المنهج هو بمثابة ديالكتيك هابط، يبدأ من المطلق والمثالي في حركة هابطة إلى الحسّي والمتعيّن، ويقدم أبو زيد بديلاً عن هذا المنهج ما يسميه الديالكتيك الصاعد الذي يبدأ من الحقائق والبدهيات ليصل إلى المجهول ويكشف عما هو خفي[٧].

لم يكن الهم الأساسي عند نصر حامد تقديم منهج بديل عن ذلك الذي يتبناه الخطاب الإسلامي بقدر ما كان الهمّ استخلاص نتائج تتكئ على الفرضيات التي طرحها آنفاً، ومن تلك النتائج أن الديالكتيك الهابط يبني التأويل على التأمل، وهو ما جعل الخطاب الإسلامي يميل إلى الوعظ، وتتكرر الأقوال من دون جديد يذكر. بل إن أبو زيد يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك؛ إذ يرى أن فهم القرآن بهذه الطريقة هو الذي أنتج التصور القائل بأن القرآن مرجعية شاملة للحياة، يقول: "والأثر العام الواضح والملموس والبارز على جميع المستويات، تحويل النصوص الدينية –بإخراجها من سياقها الثقافي بالتركيز على جانب المتكلم– إلى مرجعية شاملة للحياة، من هنا نحتاج دائما إلى البحث عن مشروعية أي تصرف، شخصي أم اجتماعي، اقتصادي أم سياسي أم فكري أم فني، من خلال استنطاق النصوص الدينية. وتصبح كل مجالات الخبرة الإنسانية فاقدة للمشروعية، ومعطلة عن الاستيعاب في بنية الذاكرة الجمعية (الثقافة)، ما لم تستمد من النصوص الدينية مشروعيتها"[٨]؛ وبناءً عليه يطرح نصر حامد الديالكتيك الصاعد بوصفه منهجا ينطلق من حقائق

الواقع إلى النص، وهذه الحقائق هي الأبنية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، وحال المتلقي للنص (النبي صلى الله عليه وآله)، وحال المخاطَبين.

إن ما يسجله أبو زيد من إشكالات تفقد قيمتها أمام خصوصية النص القرآني المتمثلة بكونه خطاباً إرشاديا منتَجاً من الله وموجَّهاً إلى الإنسان، فمن المنطقي أن يركز القرآن في التعريف بهذين الطرفين وينظم العلاقة بينهما بما ينسجم والغاية الأساسية من نزول هذا النص الكريم المتمثلة في هداية الإنسان إلى ربه.

ومن خصوصيات النص القرآني أنه لم ينزل دفعة واحدة، وإنما نزل في أوقات مختلفة، وأماكن مختلفة، ومناسبات مختلفة، ومع ذلك يوصف بأنه نص واحد أو أنه كالكلمة الواحدة.

ومن المعروف أن البناء الداخلي للنص القرآني له خصوصيته؛ إذ إن الآيات في المصحف لم تُرتب بحسب نزولها، وإنما رُتبت بطريقة خاصة، قُسِّمَ القرآن بمقتضاها على أجزاء وسور. وسواء أكان هذا الترتيب توقيفا من الله تعالى أم اجتهادا من الجيل الأول فإن هذا الأمر دعا المعنيين بالنص القرآني إلى البحث عن أوجه الترابط أو التناسب بين آياته، فظهر ما يُسمى (علم المناسبة).

إن ترتيب النص القرآني على نسق مغاير لنسق النزول جعل بعض الباحثين يصفونه بأنه "ليس نصا موحدا متجانس الأجزاء"[٩]، وأنه ينطوي على مجموعة من المطالب المتفرقة التي لا يجمعها انسجام في الموضوع، ولا وحدة في النظم والعلاقة في ما بينها[١٠].

وخلاف ذلك يرى المستشرق الفرنسي جاك بيرك أن القرآن يعرف ترتيبا خفيا، وأن وحدة القرآن تتجلى في تنوعه، وأن المعرفة الدقيقة تقودك إلى الاقتناع بأن تعدد الموضوعات المطروحة، مرتبط بوحدة المجموع، حتى أنه يمكن القول بأن القرآن، في تلاحمه، وانسجامه، ووحدته، كالكلمة الواحدة؛ لأن انسجامه خفي[١١].

كما دافع أغلب المعنيين بالنص القرآني عن وحدة هذا النص وتماسكه، ومن يرجع إلى كتب التفسير وعلوم القرآن يجد في عديد من المواضع وعيا متقدما بأن القرآن، برغم تفاوت أوقات نزوله، يشكل نصا واحدا[١٢].

وسواء قلنا إن القرآن نص واحد أو مجموعة نصوص يجمعها خطاب واحد، فإن ذلك لا ينال من وحدة القرآن، التي تتضافر على تحقيقها مجموعة عوامل[١٣]:

١- كونه كلاما منتجا من طرف واحد هو الله سبحانه وتعالى.

٢- كون متلقيه الأول واحدا هو النبي محمد (ص).

٣- كون موضوعاته المتفرعة تصب جميعها في موضوع رئيس واحد هو التوحيد وتوجيه العبد نحو ربه.

٤- فضلا عن كونه نصا سماويا تثبت الأدلة الدينية بأنه نص محكم خالٍ من التفكك والاضطراب.

القرآن الكريم في ضوء لسانيات النص:

لعل من نافلة القول التذكير بأن الهدف المركزي للسانيات النصية هو محاولة الوقوف على الدلالة الإجمالية للنص، تلك الدلالة التي لا تمثل مجموع دلالات الجمل المشكِّلة للنص فقط، وإنما هي الدلالة التي تنتجها الجمل، والعلاقات بين الجمل، والظروف المصاحبة لإنتاج الجمل. وهذا يعني أن تحليل النص ينبغي أن يبدأ أولاً بتحديد دلالات الجمل المنفردة، ثم ينتقل إلى مستوى ثانٍ وهو البحث أو الكشف عن العلاقات الرابطة بين الجمل، وهذه العلاقات على ثلاثة أنواع:

الأول: علاقات شكلية (لغوية) تتحقق بأدوات لفظية ظاهرة على سطح النص، كأدوات العطف، والإشارة، والضمائر وغيرها؛ إذ تقوم هذه الأدوات بربط الجمل فيما بينها ربطاً لفظياً.

الثاني: علاقات معنوية (دلالية) تتحقق بأدوات خفية غير ظاهرة على سطح النص، أدوات يستنبطها مؤول النص من خلال الربط بين دلالات/موضوعات الجمل.

الثالث: بعد ذلك يُصار إلى مستوى ثالث من التحليل، وهو مستوى أكثر فائدةً وأكثر تعقيداً في الوقت نفسه، وهو النظر إلى النص ببعده التداولي، حيث يوضع النص في معادلة سياقية، طرفاها سياق الإنتاج وسياق التأويل.

الاتساق اللفظي

إن النظر إلى النص القرآني من هذه الزوايا المتتالية تجعلنا نبحث أولاً عن التماسك السطحي لهذا النص والوسائل اللغوية التي تحققه، إن هذه النقطة تعد أساسية في عملية التحليل النصي؛ لأن التشكيل اللغوي للنص بكل ملابساته هو بمثابة الخريطة التي تحدد جغرافيا النص، ومن خلالها يمكن الوصول إلى المكامن الدلالية بين طبقاته، فضلا عن أن تحديد وسائل الاتساق واستخراجها –على الرغم من سهولة هذا الأمر- يمكن أن ينفعنا في أكثر من مستوى ويجيب عن أكثر من سؤال، مثل: هل يفضل النص القرآني وسيلة ما من وسائل الاتساق على غيرها؟ هل تظل الروابط الاتساقية ثابتة أو أنها تتنوع؟ وإذا كانت متنوعة فهل يرتبط التنوع بشكل مطرد بعامل أو عوامل أخرى؟ ما العلاقة بين الاتساق وتقسيم النص القرآني على آيات وسور؟ كما أن الإطار الذي يتحقق فيه اتساق النص من شأنه أن يوظَّفَ في سياق التحليل الآلي للنص بالحاسوب.

إن مفهوم الاتساق الذي أسس له الباحث الإنجليزي هاليداي والباحثة رقية حسن يحاول بلورة معيار يمكّن من التمييز بين النص واللانص، وقد وجدا أن الاتساق أو عدمه هو الحد الفاصل بين الاثنين[١٤]، وهو الأمر الذي يمكن استثماره في إثبات وحدة النص القرآني، تلك الوحدة التي شكك فيها بعض الباحثين العرب والمستشرقين.

الانسجام الدلالي:

وفي المستوى الثاني من البحث النصي يكون الجهد منصباً على الكشف عن وسائل (الانسجام)، أي الوسائل الخفية (غير اللغوية) التي تعمل على تماسك النص دلالياً. وفي هذا الإطار يمكن أن نغنم من بعض المفاهيم التي أسسها علماء القرآن ونوظفها في إطار انسجام النص، ولعل من أبرز هذه المفاهيم علم المناسبة، ومنهج تفسير القرآن بالقرآن.

فيما يخص المناسبة لابدّ من الوقوف على الرؤية التي صاغها علماء القرآن لهذا المفهوم، وكيف كانوا ينظرون إلى ترتيب النص القرآني ترتيباً مغايراً لترتيب نزوله، وما طبيعة العلاقات التي تربط بين الآيات المتناثرة؟ أو بعبارة أخرى كيف تتناسب الآية في ذاتها، وكيف تتناسب الآية مع غيرها من الآيات المجاورة، السابقة واللاحقة، وكيف تتناسب كل سورة في ذاتها، وتتناسب السورة مع السورة التي تسبقها والسورة التي تلحقها، بما يفضي إلى تناسب النص القرآني بمجمله؟

إن ما ذكره السيوطي حين حاول أن يحدد الطريقة العامة للنظر في قضايا تناسب النص القرآني، من شأنه أن يجيب عن جميع تلك الأسئلة؛ إذ يقول: "الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبة الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر إلى (الغرض) الذي سيقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك (الغرض) من (المقدمات)، وتنظر إلى مراتب تلك (المقدمات) في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في (مقدمات) إلى ما تستتبعُه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغةُ شفاءَ الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المُعِين على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، فإذا فعلتَه بَيَّنَ لك وجهَ النظم مفصَّلا بين آية وآية في كلِّ سورةٍ وسورة"(١٥).

ما يقدمه السيوطي في هذا النص يُعد –بحق– رؤية علمية واضحة لتحليل طبيعة الترابط القرآني التي هي انعكاس لترابط موضوعاته. ويرى بعض الباحثين أن هذا النص ليس مجرد إشارة عابرة، ولكنه نص مؤسِّس، سابق على السيوطي؛ فقد صدَّر البقاعي به تفسيره (نظم الدرر)، وجعله منهاج عمل لتفسيره، والبقاعي نفسه ينقله عن أحد شيوخه، وهذا يعني أن هذا النص يؤسِّسُ لمستوى غير مسبوق من النظر الكلي، إنه نتيجة لمقدمات راسخة، ومنهاج عمل متداول، التزم به السيوطي كما التزم به سابقوه، الذين عدّوا النص الكريم كلَّه آية واحدة(١٦).

ويحاول السيوطي أن يضع قاعدة عامة رُتِّبت بمقتضاها السور القرآنية؛ إذ يقول: "إن القاعدة التي استقر بها القرآن، أنَّ كلَّ سورةٍ تفصيلٌ لإجمال ما قبلها، وشرح له، وإطناب لإيجازه. وقد استقر معي ذلك في غالب سور القرآن، طويلها وقصيرها"١٧. وهذه القاعدة تعتمد على الجانب العلاقي: الإجمال/ التفصيل أساساً لها، أي أن كل سورة هي تفصيل لما أجمل (أو لبعض ما

أجمل) في سورة سابقة. كما تعتمد قاعدة السيوطي على مبدأ الاتحاد والتلازم، ويقصد به ذلك التناسب الذي يقوم بين سورتين، ويتجلى في[١٨]:

- مناسبة خاتمة السورة الثانية لفاتحة السورة الأولى، فمثلاً سورة البقرة مفتتحة بذكر المتقين وأنهم هم المفلحون، وآل عمران مختومة بقوله: "واتقوا الله لعلكم تفلحون"[١٩].
- تلازم لفظي كالجنة والنار، أي عند ذكر الجنة أو النار ومن يحل بإحداهما في سورة، وذكر من يحل بالأخرى في سورة لاحقة لها مباشرة.
- اتحاد معنوي كأن يذكر الأصل في سورة سابقة ثم يذكر الفرع في السورة اللاحقة، مثل ذكر آدم في سورة البقرة، ومبدأ ذكر خلق أولاده في آل عمران.

إن النظر إلى النص القرآني من حيث العلاقات الرابطة بين آياته المتقاربة أو المتباعدة، جاء أساساً لدفع الشبهة حول تفكك هذا النص الكريم، لكنه أسهم –في الوقت نفسه– في اكتشاف الكثير من الخيوط التي تنتظم السور والآيات. وكان هذا النظر الأساس المعرفي الذي دفع إلى البحث عن الأواصر التي تربط بين موضوعات القرآن ومفاهيمه بشكل عام، ونما هذا التوجه البحثي شيئاً فشيئاً إلى أن توج في القرن الرابع عشر الهجري بظهور ما يعرف بمنهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم.

لقد بُذلت جهود كبيرة من أجل إبراز طبيعة انتظام معارف القرآن في نظام خاص، وحاولت تلك الجهود وضع عنوانات رئيسة للموضوعات القرآنية، وتوصل علماء القرآن إلى أن جميع مباحث القرآن تنتظم في نطاق تلك المجموعة من العنوانات، وتوصلوا أيضا –من خلال الكشف عن العلاقات المنطقية بين تلك الموضوعات– إلى أن القرآن عبارة عن وحدة كيانية منتظمة.

يقول محمد حسين الطباطبائي:" فإن القرآن، في سعته العجيبة في معارفه الأصلية وما يتفرع عليها من الفروع من أخلاق، وأحكام في العبادات، والمعاملات، والسياسات، والاجتماعيات، ووعد ووعيد، وقصص وعبر، يرجع مجمل بياناتها إلى التوحيد، والنبوة، والمعاد، وفروعاتها، وإلى هداية العباد إلى ما يصلح به أولاهم وعقباهم "[٢٠].

كما حاول المستشرق الفرنسي جول لا بوم توزيع جميع آيات القرآن بين ثمانية عشر فصلاً، وجعل لكل فصل عدداً من الفروع الملحقة به، بحيث يصل مجموع الفروع إلى ثلاثمئة وخمسين فرعاً. ففصول القرآن، من وجهة نظره، هي: التاريخ، ومحمد (صلى الله عليه وآله)، والتبليغ، وبنو إسرائيل، والتوراة، والنصارى، وما وراء الطبيعة، والتوحيد، والقرآن، والدين، والعقائد، والعبادات، والشريعة، والنظام الاجتماعي، والعلوم، والفنون، والتجارة، وتهذيب الأخلاق، والتقوى، والفلاح[٢١].

أما المفسّر سعيد حَوّى؛ فقد قدم رؤية مختلفة عن طبيعة تماسك النص القرآني وكيفية ترابطه؛ فهو يرى أن سورة الفاتحة هي بمثابة مقدمة القرآن، ونظر إلى سورة البقرة على أنها كيان واحد

يتألف من مقدمة، وثلاثة أقسام، وخاتمة، بحيث تضم هذه السورة جميع موضوعات القرآن. أما بقية سور القرآن فإن كل واحدة منها تبحث موضوعاً هو جزء من مضامين سورة البقرة، وفي هذا الشأن يمكن لمحور معين أن يعاد تكراره مرات في القرآن لهدف خاص، وعلى هذا الأساس يستخلص حوّى أن سورة البقرة تم توضيحها في القرآن ٢٤ مرة[٢٢].

فعلى سبيل التمثيل، تتحدث الآيات الخمس الأولى من سورة البقرة عن التقوى، وسورة آل عمران تشرح هذا الموضوع بعينه[٢٣].

وتتناول سورة المائدة بالشرح الفسقَ وآثاره، وهذا ما يعبر عنه مضمون الآيتين ٢٦ و٢٧ من سورة البقرة[٢٤].

وكان موضوع سورة الأنعام محاججة الكفّار في عبودية الخلق بين يدي الله، وهذا ما أشارت إليه الآيتان ٢٨ و ٢٩ من سورة البقرة[٢٥].

وتناولت سورة الأعراف موضوع الهداية الذي كان مضمون الآية ٣ من سورة البقرة[٢٦].

وتحدثت سورتا الأنفال والتوبة عن الجهاد والحرب، وهما الموضوعان اللذان تضمنتهما الآيات: ٢١٦ و٢١٧ و٢١٨ من سورة البقرة[٢٧].

وكان الموضوع الرئيس لسورة يونس هو عدم التشكيك في حقيقة أن القرآن من عند الله، وهذا هو موضوع أول آية من سورة البقرة[٢٨].

وركزت سورة يوسف على نزول القرآن من عند الله، وهو ما تناولته الآيات ٢١-٢٥ من سورة البقرة[٢٩].

وقد شرحت سورة الكهف مضامين الآيات الأولى من سورة البقرة التي تحدثت عن المتقين والمنافقين والكفار[٣٠].

وهكذا يحاول سعيد حوى أن يربط بين جميع السور القرآنية من خلال الربط بين موضوعات تلك السور. وما يلفت الانتباه في منهج تفسير القرآن بالقرآن هو كشفه عن طبيعة البنية القرآنية التي تعتمد على (زرع) مجموعة من العناصر في سورة معينة، ثم تقع تنميتها أو تنمية بعضها في سورة لاحقة. إن هذه الرؤية التفسيرية المختلفة من شأنها أن تكشف عن الخيوط الناظمة للموضوعات القرآنية، وهو ما يسهم في الكشف عن الاستراتيجيات اللغوية الموظفة في بناء هذه الشبكة الموضوعاتية للخطاب القرآني، وهي شبكة لا يمكن النظر إليها بمعزل عن خصوصية هذا النص والطبيعة الإعجازية له.

إن النشاط التأويلي للنص القرآني إذا ما انطلق من هذه الأرضية فإنه بالتأكيد يقترب اقترابا كبيرا مما تحاول لسانيات النص تقديمه حول مفهوم (الانسجام) ولا سيما ذلك المفهوم الذي يؤسس له الباحثان: براون ويول اللذان يختلفان عن كثير من الباحثين في أنهما لا يعدّان انسجامَ الخطاب

شيئاً مُعطى، شيئاً موجوداً في الخطاب ينبغي البحث عنه للعثور عليه (على مجسداته)، وإنما الانسجام، في نظرهما، شيء يُبنى، أي ليس هناك نص منسجم في ذاته ونص غير منسجم في ذاته باستقلال عن المتلقي، بل إن المتلقي هو الذي يحكم على نص بأنه منسجم، وعلى آخر بأنه غير منسجم؛ لذلك نجدهما يركزان على انسجام التأويل وليس على انسجام الخطاب، أي إن الخطاب يستمد انسجامه من فهم المتلقي وتأويله ليس غير[٣١].

وهذا يعني أن لسانيات النص تضع المتلقي في سلم الأولويات، وتجعل وضعه إزاء النص وضعا حركيا فاعلا يسهم في إنتاج الدلالات والمفاهيم، أو في الأقل يسهم في إعادة إنتاجها. ويزداد هذا الأمر أهمية حين يتعلق بالنص القرآني؛ لأنه يلقي بجانب كبير من المسؤولية على عاتق المفسر أو المؤول، ويجعله طرفاً أساسياً في عملية التواصل اللغوي، وهو ما يفتح الباب واسعا أمام إعادة القراءة لهذا النص المقدس بما يتلاءم والأسئلة الجديدة التي تفرضها الظروف الجديدة.

البعد التداولي[٣٢]:

إذا ما بدأنا من حيث ما انتهينا إليه في الفقرة السابقة، أي من كلام براون ويول، فيمكن أن نلحظ أن السمة التي تطبع عملهما هي جعلهما المتكلم/ الكاتب، والمستمع/ القارئ في قلب عملية التواصل؛ فهما لا يتصوران قيام عملية تواصل من دون الأطراف المساهمة فيها، ومن ثم لا يتسنى فهم الخطاب وتأويله إلا بوضعه في سياقه التواصلي زمانا، ومكانا، ومشاركين، ومقاما[(٣٣)].

ويُستنتَج من ذلك "أن الباحثين يعيدان للإنسان –بوضعه في قلب عملية التواصل– سلطته اللغوية التي جردته منها بعض الاتجاهات اللسانية بتركيزها على اللغة كأشكال، أي باتخاذها اللغة هدفا أولا وأخيرا للبحث، ومن ثم وضع براون ويول تمييزا فاصلا بين لسانيّ يتعامل مع اللغة كإنتاج، وبين محلل يجعلها عملية"[(٣٤)]. فالأول يدرس النص كما هو على الصفحة، بمعزل عن مرسله ومتلقيه وسياقه، أما الثاني فإنه يأخذ كل تلك الأمور في الحسبان حين يحلل النص.

إن النظر إلى النص مصحوباً بظروف إنتاجه وملابساته يضعه في مكانه الطبيعي، ويقلل من الاحتمالات التأويلية التي ربما تبتعد بالنص عن مقاصده الحقة. يقود بنا هذا المنطلق إلى تأكيد حقيقة أن السياق نص مصاحب للنص الأساسي؛ إذ من شأنه أن يسلط مزيدا من الضوء على التراكيب المشفّرة داخل النص.

ولا بد من التذكير بأن أهم ما قدمته التداولية تمييزها بين ثلاثة مستويات: التركيب، والدلالة، والتداول؛ فإذا كان التركيب يُعنى بالنظر في العلاقة اللغوية بين العلامات اللغوية في ترابطها، وتُعنى الدلالة ببحث العلاقة بين العلامة اللغوية ومعناها وما تحيل إليه في الواقع، فإن التداولية تخصص مجالها ببحث العلاقة بين العلامات اللغوية وبين منتجي هذه العلامات ومؤوليها. وهذا

يعني أن المستويين التركيبي والدلالي لا يعنيان إلّا بدراسة جمل مستقلة عن استعمالها، أما في المستوى التداولي فتدرس اللغة في سياق استعمالها.

وتأسيساً على هذا يقرر التداوليون أن البحث اللغوي يجب أن لا يقتصر على (القدرة اللغوية)، بل يجب أن يتوجه إلى ما يسمى (القدرة التواصلية). وقد اقترح هايمس سنة ١٩٧١ مصطلح القدرة التواصلية "ليشمل معرفة الشخص وقدرته على استعمال كل الأنظمة السيميائية المتاحة له باعتباره فردا من مجموعة اجتماعية ثقافية. وليست القدرة اللغوية أو معرفة نظام اللغة إلا جزءا من هذه القدرة التواصلية. فالقدرة، إذن، شاملة لمعرفة النظام اللغوي ولطرق استعمال اللغة حسب السياقات التواصلية المناسبة"[٣٥].

إن تركيز البحث التداولي في دراسة اللغة في الاستعمال جعله يوجه جلَّ اهتمامه نحو السياق، فصار السياق من المفاهيم الأولية في التداوليات، بل أنه صار المصطلح المفتاح فيها.

لكن فكرة السياق لم تكن من اكتشافات التداوليين، فنحن نعرف أن رائد هذه الفكرة هو اللساني الإنجليزي فيرث، وتمتد أيضا إلى إشارات العالم الانتروبولوجي مالينوفسكي، لكنّ التداوليين أعطوه موقع المركز، وجعلوه على رأس سلم الأولويات في البحث اللساني، بعد أن أهملته اللسانيات البنيوية واللسانيات التوليدية.

يعرف ليتش السياق بأنه كل معرفة مسبقة يفترض أنها مشتركة بين المتكلم والسامع، تمكن السامع من تأويل ما يعنيه المتكلم بكلامه[٣٦]. ويبدو واضحاً قصور هذا التعريف عن إدراك المضمون الحقيقي للسياق، فالمعرفة المشتركة ليست سوى جزء منه.

أما فان ديك؛ فإنه يركز في أهم العناصر المكوّنة للسياق؛ لذا هو يرى أن السياق التداولي "يتألف من جميع العوامل النفسية والاجتماعية التي تحدد منهجيا كفاية الأفعال اللغوية . ومن هذه العوامل المعرفة التي يملكها مستعملو اللغة ورغباتهم وإرادتهم واختياراتهم وآراؤهم، وكذلك علاقاتهم الاجتماعية (مثل العلاقات القائمة على السلطة والصداقة)"[٣٧].

أما ديكرو؛ فيرى أن السياق "مجموعة الظروف التي يجري داخلها فعل التلفظ (سواء كان مكتوبا أو منطوقا). وينبغي أن يفهم من ذلك أنه يشمل المحيط المادي والاجتماعي لهذا الفعل، وكذا الصور التي يكونها المتخاطبون عن هذا المحيط، وهوية هؤلاء المتخاطبين، والفكرة التي يكونها كل واحد منهما عن الآخر (ويتضمن ذلك ما يتمثله كل واحد منهم عن اعتقاد الآخر فيه)، وكذا الأحداث التي سبقت فعل التلفظ"[٣٨].

ويحاول الباحث طه عبد الرحمن تصنيف العناصر المقامية وتحديدها تحديدا يجعلها أكثر وضوحا، فهو يرى أن المقام أو السياق يفترض ثلاثة عناصر هي[٣٩]:

١- العنصر الذاتي ويشمل معتقدات المتكلم ومقاصده واهتماماته وأهدافه ورغباته.

٢- العنصر الموضوعي وهو عبارة عن الوقائع الخارجية التي يتحقق فيها القول، يعني الظروف الزمانية والمكانية.

٣- العنصر الذواتي أي ما بين ذوات المتخاطبين، والمقصود به المعرفة المشتركة بين المتخاطبين سواء كانت معرفة اجتماعية أو ثقافية أو تراثية أو غير ذلك، وهي معرفة تُكتسب قبل التخاطب وأثناء التخاطب أيضا، وتدخل في تحديد هذه المعرفة مجموعة من العناصر، منها تسليم المتخاطبين بالاعتقاد في قضايا معينة، وتسليمهم بأن الآخرين يعتقدون فيها أيضا.

ومن خلال هذا العرض الموجز لبعض الآراء التي قيلت بشأن السياق نخلص إلى نتيجتين: الأولى المكانة المركزية التي حظيت بها فكرة السياق بحيث أصبحت ضرورة من ضرورات البحث اللساني. الثانية: أغلب الآراء تركز على الظرف الزماني والمكاني الذي يولد فيه النص.

وإذا ما نظرنا إلى النص القرآني –انطلاقا من النتيجة الثانية– فهذا يدعونا إلى أن نوجه أنظارنا إلى تلك الدراسات التي حاولت الإحاطة بالسياقات الزمانية والمكانية التي نزلت فيها آيات القرآن الكريم.

إن هذه السياقات وملابساتها أي الظروف المصاحبة للنص القرآني عُرفت تاريخيا بـ(أسباب النزول). وتُعدُّ معرفتها والإلمام بها من أهم الاشتراطات التي ينبغي توافرها لدى كل من يتصدى إلى عملية التفسير القرآني.

أسباب النزول هي السياق التاريخي والثقافي الذي وُلِد فيه النص القرآني؛ لذلك شغلت مساحة مهمة في الدراسات القرآنية. وبحسب المتخصصين في علوم القرآن فإن الهدف من معرفة أسباب النزول أنها تمكن من الوقوف عند "وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، ومنها تخصيص الحكم به، عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب، ومنها الوقوف على المعنى، قال الشيخ أبو فتح القشيري: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز، وهو أمر تحصّل للصحابة، بقرائن تحتف بالقضايا، ومنها أنه قد يكون اللفظ عاما ويقوم الدليل على التخصيص، فإن محل السبب لا يجوز إخراجه بالاجتهاد والإجماع"[٤٠].

وتذكر التصانيف التي انشغلت بأسباب النزول أن أغلب آيات القرآن ارتبطت بظروف خاصة استوجبت نزولها، وأن الآيات التي نزلت من دون سبب قليلة ونادرة[٤١]؛ لذلك "لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"[٤٢].

ومما تنبغي الإشارة إليه –هنا– أن أسباب النزول لا يمكن النظر إليها على أنها مجرد معطيات تاريخية خارجية، بل ينبغي التعامل معها على أنها خلفيات سياقية حيوية لمن يريد فهم النص وتفسيره؛ لأن معرفتها تتيح فهما أفضل وأكفى لحقائق الوحي. وهذا يعني أن "خارج النص،

بكل ما يتصل به من قرائن ومعطيات، لا يُهتم به في أسباب النزول من أجل البحث له عن المظاهر التي ينعكس بها في داخل النص؛ فمبحث أسباب النزول ليس مبحثاً (مرآوياً) يجري فيه رصد الأشكال التي تنعكس بها في النص معطياته وعناصره الخارجية. إنه مبحث يتولى صياغة المعايير التكوينية التي بمقتضاها يتوصل المفسر إلى فهوم وجيهة ومقبولة للنص القرآني"[٤٣].

ولهذا كانت لأسباب النزول عند القدماء فوائد تشريعية منها ما يرجع إلى (معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم)، ومنها ما يرجع إلى (تخصيص الحكم عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب)، فالآيات المرتبطة بأحكام النص وتشريعاته لا يمكن الوقوف فيها على مقاصد التشريع من دون ربطها بوقائع التنزيل وسؤالاته، وعدم الاعتداد بهذه الوقائع هو عدم اعتداد بالبعد التداولي للنص الذي تتبين من خلاله قيمة القوة الإحالية على نوع السياق الذي استلزم تشريع الحكم واقتضاه؛ لهذا فإن العلاقة بين النص وأسباب نزوله ليست علاقة تنعكس فيها شروطه الخارجية، وإنما هي علاقة تداولية تتحدد بموجبها شروط إعماله في حياة المسلمين[٤٤].

إن إدراك علماء القرآن لأهمية استيعاب الظروف المصاحبة لإنتاج النص القرآني جعلهم يقسمون هذا النص –انطلاقا من اختلاف تلك الظروف– على مكي ومدني، ولا تكاد تخلو أية كتابة تفسيرية من الحديث عن خصائص هذين الصنفين من الآيات؛ لما لهذا الاختلاف من أثر كبير في بناء استراتيجية النص أولا، وفي اختيار الأبنية المُوَظَّفَة في دعم هذه الاستراتيجية ثانياً[(٤٥)].

ويرى محمد عبد الباسط عيد إن الوعي بالفرق بين المكي والمدني –بحسب أحد الباحثين– يقترب كثيرا من المقولة البلاغية الذائعة التي جعلت الفصاحة رهنا بالتطابق بين الكلام ومقتضى الحال، وضرورة أن يتغير الكلام تبعا لتغير المقام، ولكن معرفة المكي والمدني تبدو –بحسب عيد– أشمل مما عناه البلاغيون، "إنها تستوعب ما يطلق عليه المحدثون السياق الثقافي الذي يشمل شبكة التقاليد الاجتماعية والاقتصادية والمؤسساتية التي تحكم الثقافة الواحدة، ولاسيما عندما تتدخل هذه بسياقات أقوال معينة، فكل خطاب له سياق ثقافي يؤثر على التراكيب اللغوية المستخدمة، فالبناء التركيبي بمستوياته اللغوية المختلفة يُوظَّفُ –بشكل أو آخر– لخدمة أيديولوجيا النص التي تعضد بدورها أو تعارض أيديولوجيا خارج النص، فهذا السياق يمكّننا من تبين علاقة خطاب معين بغيره من الخطابات الأخرى داخل سياق ثقافي محدد"[(٤٦)].

فمعرفة أسباب النزول إذن هي معرفة السياق الخارجي للنص المُحَدِّد لدلالته، غير أن ارتباط آية أو مجموعة آيات بحادثة ما لا يعني انغلاق دلالة الآية أو الآيات على تلك الحادثة؛ فسببُ النزول، وزمانُه، ومكانُه، وثقافةُ عصره لا تقيّد النص القرآني، بحيث لا يمكن تجاوزها من خلال القراءة المعاصرة للنص. إن النظر إلى القرآن على أنه نص مكبّل بتلك العوامل يضيّع فرص

التفسير المثمر، والقراءة الجديدة للنص التي تنطلق من الأسئلة الجديدة التي يطرحها الزمان الجديد والمكان الجديد. وفي هذه النقطة تحديدا يمكن الإشارة إلى الحدود الفاصلة بين عمليتي التفسير والتأويل المتداخلتين في أغلب الأحوال؛ فالتفسير هو وضع النص في سياق إنتاجه، أما التأويل فهو إخضاع النص لسياق متلقيه. إن ضرورة الفهم المتجدد للنص القرآني القائم أساسا على عمليتي التفسير والتأويل هي التي دعت إلى القول بأن العبرة في عموم اللفظ لا في خصوص السبب. كما أن توزيع الآيات بحسب الحوادث المرتبطة بها، وهي حوادث متناثرة زمانا ومكانا، قد يوحي بتفكك هذا النص، وهذا ما لا يتناسب وطبيعة القرآن المحكم.

ويذهب بعض الأصوليين إلى أن الفهم الحقيقي للمضامين القرآنية يوجب أن لا يقتصر على معرفة الظروف الضيقة المصاحبة لنزول الآية، بل يجب أن يتعداه إلى معرفة مجموعة الظروف الاجتماعية والتربوية والثقافية والسياسية والاقتصادية التي كان عليها عصر نزول القرآن الكريم، وقد أطلق على هذه الظروف (بيئة النزول)، ويرى أن هذه الظروف هي الأسباب الحقيقية لنزول القرآن، بمعنى "أن النص قد جاء وهو ناظرٌ إلى هذه البئة التي كانت تعيش الشتات الاجتماعي والتمزق السياسي والضعف الاقتصادي والتخلف الثقافي والانحدار الأخلاقي والتربوي، وقد وصف القرآن الكريم تلك البيئة بالظلمات، كما وصف البديل الذي جاء لينقذ هذه الأمة المتداعية بالنور، وهو قوله تعالى: ((**الر كتاب أنزلناه إليك لتُخرِج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد**))[٤٧] ، وعليه فلا بد من الوقوف على هذه البيئة بمناخاتها المختلفة للوصول إلى فهم دقيق للنص القرآني، ولا ريب بأن أسباب النزول وشأنها من أهم المفردات التي تُقرّبنا لفهم بيئة نزول النص"[٤٨].

وهذا يعني أن ربط الآيات بأسباب نزولها ليس إلا خطوة أولى للوصول إلى دلالة النص المركزية، إن جاز لنا التعبير، تتلوها خطوة أخرى، تتمثل في صياغة مفهوم عام، يصلح لكل زمان ومكان، وعليه تكون الدلالة المركزية ثابتة لا تتغير؛ لأنها مرتبطة بحدث ثابت، أما صياغة المفاهيم القرآنية العامة فإنها متغيرة بتغير الزمان والمكان والثقافة، وهي التي تعطي النص القرآني الديمومة والتجدد، وتجعله نصا قابلا للقراءات المتعددة. "فدرس أسباب النزول يزود الفقيه بالعلة من وراء أحكام النصوص، ومن خلال اكتشاف هذه العلة يستطيع الفقيه أن يعمم الحكم على وقائع أخرى شبيهة"(٤٩). وفي السياق نفسه يقول محمد عبد الباسط عيد: "فالفهم الدقيق للآيات والرغبة في الوصول إلى علة الحكم هو الهدف من ربط النص بسياقه الاجتماعي التاريخي، وهو هدف يرمي إلى الانتقال من زمنية الدلالة إلى عموميتها، من الحدث المُحَدَّد إلى الحوادث المتجددة في الزمان. وهذا بذاته دال على الوعي بقيمة السياق وأهميته في فهم النص، ودال أيضا على الوعي بخطورته وقدرته على تجميد النص بتزمينه في نقطة محددة"(٥٠).

وبهذا الفهم نستطيع أن نتجاوز ذلك الإشكال الذي طُرِح ويُطرح باستمرار في (مبحث أسباب النزول) المتمثل في اعتقاد البعض أنه لا طائل من ورائه، "لجريانه مجرى التاريخ"[٥١]،فهذا الاعتقاد يضعنا في صلب المفارقة القائمة بين الوحي بوصفه نصاً مقدسا يعلو على التاريخ، وبين أسباب النزول بوصفها وقائع حدثت على نحو تاريخي في سياقات زمنية محددة[٥٢].

غير أن ما يجب التنبيه عليه هنا أن أسباب النزول التي تتوقف كثير من الدلالات القرآنية عليها لم تكن متواترة أو متفقا عليها بين فرقاء المسلمين، وإنما خضعت، حالها حال أي حدث تاريخي، إلى أيديولوجيا الرواة والمؤرخين؛ لذلك لا عجب أن تجد أكثر من سبب نزول يروى لآية واحدة، وستجد، تبعا لذلك، أكثر من مفهوم أو أكثر من حكم لهذه الآية أو تلك، وهو الأمر الذي انتصب لاحقا في وجه الباحثين، بكثير من التعقيد والصعوبة، في الوصول إلى الدلالة المركزية الحقيقية للنص.

وفي العموم كان ما قدمته الدراسات القرآنية من عناية فائقة بأسباب النزول التي تنفتح على موضوعات أخرى لا تقل عنها أهمية، كالعموم والخصوص، والناسخ والمنسوخ، وتحديد المناسبة، كل ذلك بفضل معرفة أسباب النزول، كان ذلك موضع إعجابٍ من قبل بعض الباحثين العرب في لسانيات النص؛ يقول محمد عبد الباسط عيد: "لقد قدمت الدراسات القرآنية للدرس النصي بعدا سياقيا غاية في الدقة، فلم تنظر إلى السياق الخارجي –وهذا مهم– بوصفه وعاءً فارغا أو مجرد قابل لا فاعلية له، بل كان الواقع الخارجي فاعلا في تشكيل النص عبر هذه الحالة من الجدل التي جعلت النص يتدرج في تشريعه تبعا لتدرج المجتمع وقدرته على تقبل الفرض النهائي لهذا التشريع، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد قدمت هذه الدراسات، منطلقة من أسباب النزول، قاعدة (عموم اللفظ)، وهي بذلك تفتح المجال أمام العقل الباحث عن الشبيه والنظير، وهذا لا يكون دون أن نأخذ في الحسبان هذه الحالة من الجدل بين النص وسياقه التي صاحبته أولا، فالنصوص في مثل هذا النظر تنطلق من الواقع لتعيد تشكيله من جديد"[٥٣].

من كل ذلك نخلص إلى أن ارتباط هذه الدراسات بنص محدد هو القرآن الكريم يُعدُّ ممارسة نصية بلا شك، ويقترب في كثير من وجوهه من بعض المفاهيم التي تنادي بها لسانيات النص، ويمكن من ثم استثمارها وتوظيفها في التحليل النصي للقرآن الكريم.

الخاتمة:

وفي الختام نقول: إن أية محاولة تفسيرية أو تأويلية للنص القرآني عليها أن تتسلح بالأدوات المعرفية والإجرائية التي تقدمها اللسانيات ولاسيما لسانيات النص التي تؤسس لمشروع تأويلي يسترفد مجالات محاقلة متعددة لدعم القراءة العلمية، وجعلها قراءة ممنهجة لا تحيل إلى القضية ونقيضها، والأهم من ذلك كله أنها تحاول أن تبعد عملية التأويل عن الصراعات الأيديولوجية التي قتلت النصوص وحولتها إلى هياكل عظمية لا روح فيها.

الهوامش والمصادر:

---

(١) النص والسلطة والحقيقة، إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة، نصر حامد أبو زيد، ط٥، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م، ١٠١-١٠٢

(٢) آل عمران ٣٢

(٣) الأنفال ١

(٤) الفتح ٢٩

(٥) وإن كان ذلك لا يلغي البعد الوعظي والتعليمي الموجه إلى سائر العباد والمستفاد من روح النص.

(٦) الشرح ١-٨

(٧) ينظر: مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن ٢٦ ط٥ الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠

(٨) النص والسلطة والحقيقة ١٤٠

(٩) النص والسلطة والحقيقة ١٠٤

(١٠) ينظر: مذاهب التفسير الإسلامي، أجنتس غولدتسهير، ترجمة: عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣١٤هـ، ٤. ((ويرى بعض الباحثين أن هذا الاتهام كان السبب في تحفيز المفسرين على تأسيس التفسير الموضوعي للقرآن)). ينظر: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ٢٢٢، وآفاق التفسير الموضوعي في القرن الهجري الأخير (بحث)، السيد إبراهيم سجادي، ضمن: دراسات في تفسير النص القرآني، الجزء الأول: أبحاث في مناهج التفسير، ط٢، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي– سلسلة الدراسات القرآنية، بيروت، ٢٠١٠م، ١٧٥

(١١) الانسجام في القرآن الكريم سورة النور أنموذجاً (أطروحة دكتوراه)، نوال لخلف، جامعة الجزائر– كلية الآداب واللغات، ٢٠٠٧م، ١٢

(١٢) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ط٢، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م، ١٦٧

(١٣) اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة، بحث في الأطر المنهجية والنظرية، ط١، منشورات ضفاف، ٢٠١٥م، ١٨٩

(١٤) ينظر: لسانيات النص (خطابي) ٢٢٥-٢٢٦

(١٥) معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٣م، ١/٦٢

(١٦) ينظر: النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، د. محمد عبد الباسط عيد، ط١، مكتبة الآداب القاهرة، ٢٠٠٩م، ٢٠-٢١

(١٧) تناسق الدرر في تناسب السور، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٦، ٦٥

(١٨) ينظر: لسانيات النص (خطابي) ٢٠٣

(١٩) آل عمران ٢٠٠

(٢٠) الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، طبعة مؤسسة إسماعيليان، ج١/٤٠

(٢١) ينظر: آفاق التفسير الموضوعي (بحث) ١٨٠

(٢٢) ينظر: الأساس في التفسير، سعيد حوى، مصر، دار السلام، ١٤١٢هـ، ج١١/٦٧٧٠

(٢٣) ينظر: المصدر نفسه ج٢/ ٦٨٥

(٢٤) ينظر: المصدر نفسه ج٣/ ١٢٩٥

(٢٥) ينظر: المصدر نفسه ج٣/ ١٥٥٧

(٢٦) ينظر: المصدر نفسه ج٤/ ٢٥١٨

(٢٧) ينظر: المصدر نفسه ج٤/ ٢١٠١

(٢٨) ينظر: المصدر نفسه ج٥/ ٢٤١٣

(٢٩) ينظر: المصدر نفسه ج٥/ ٢٥٢٥

(٣٠) ينظر: المصدر نفسه ج٨/ ٤١٦٢

(٣١) ينظر: لسانيات النص (خطابي) ٥١

(٣٢) اقتصرنا في المستوى التداولي على السياق؛ لأنه ذو أهمية كبيرة في بلورة معاني النص، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن المباحث التداولية الأخرى –على أهميتها– لا تسمح مساحة البحث الضيقة بتناولها.

(٣٣) ينظر: لسانيات النص (خطابي) ٤٨-٤٩

(٣٤) لسانيات النص (خطابي) ٤٩

(٣٥) التأسيس اللغوي للبلاغة العربية (قراءة في الجذور)، د.عبد الجليل هنوش، دار كنوز المعرفة، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠١٦، ٥٨

(٣٦) المصدر نفسه ٦٤

(٣٧) المصدر نفسه ٦٤

(٣٨) المصدر نفسه ٦٤-٦٥

(٣٩) ينظر: ندوة البحث اللساني والسيميائي، منشورات كلية الآداب ، الرباط، ١٩٨١، ٣٠٢

(٤٠) البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، ط١، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م، ٢٨

(٤١) ينظر: أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، دار الفضيلة، القاهرة، ٢٠٠٥م، ٢٣

(٤٢) الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: أحمد بن علي، ط١، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤م، ١/ ٨٢، وينظر: دلالة السياق في القصص القرآني، محمد عبد الله علي سيف العبيدي، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤م، ٢٦٢، والنص والخطاب قراءة في علوم القرآن ٨٦

(٤٣) النص وآليات الفهم في علوم القرآن– دراسة في ضوء التأويليات المعاصرة – دراسة في ضوء التأوليات المعاصرة، د.محمد الحيرش، دار الكتاب الجديدالمتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠١٣، ١٩٥

(٤٤) ينظر: النص وآليات الفهم في علوم القرآن– دراسة في ضوء التأويليات المعاصرة ١٩٩

(٤٥) ليس لهذا التصور علاقة بإشكالية كون القرآن قديما أو محدثا وما أثارته هذه الإشكالية من جدل واسع في تاريخ الفكر الإسلامي، النظر إلى القرآن هنا ينطلق من كونه خطابا وِلِدَ في ظرف تاريخي محدد.

(٤٦) النص والخطاب قراءة في علوم القرآن ٩٧، وينظر: النصوص وسياقاتها دراسة في الأدبية الأيديولوجيا والخطاب (بحث)، عفاف البطاينة، فصول، العدد ٥٨، شتاء ٢٠٠٢م، ٥٩

(٤٧) إبراهيم:١

(٤٨) منطق فهم القرآن، الأسس المنهجية للتفسير والتأويل في ضوء آية الكرسي، من أبحاث المرجع الديني السيد كمال الحيدري، بقلم الدكتور طلال الحسن، مؤسسة الهدى للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، ١٤٣٥هـ-٢٠١٣م، ج١/٣٢٩

(٤٩) مفهوم النص (نصر حامد أبو زيد) ١١٧ النص والخطاب قراءة في علوم القرآن ٨٧

(٥٠) النص والخطاب قراءة في علوم القرآن ٨٧

(٥١) البرهان، الزركشي ٢٢/١.... النص وآليات الفهم ١٩٩

(٥٢) ينظر: النص وآليات الفهم ١٩٩

(٥٣) النص والخطاب قراءة في علوم القرآن ٩٦